عرض المجـــلات

اســم المجلـــة: الحوليـات الأثـرية الـعـربـيـة السورية

النـاشـــــــر : المديرية العامة للآثار والمتاحف وزارة الثقافة – سورية

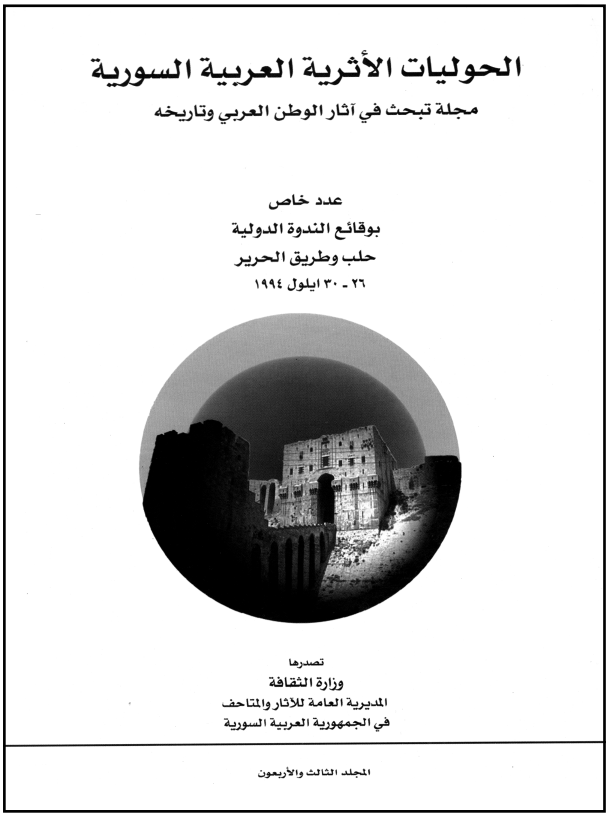
رئيس التحرير : د. سلطان محيسن
رقم المجلـــد : ٤٣ (١٩٩٩م).

عدد الصفحات : القسم العربي : ٣٥٤ صفحة

الـقـسم الانجـلـيـزي : ٢٧٨ صفحة.

مقاس المجلـة : ٢٣ × ٣٠ سم

عـــــــــرض : أ.د. مفيد رائف العابد



أصدرت المديرية العامة للآثار والمتاحف، في الجمهورية العربية السورية، العدد ٤٣ للعام ١٩٩٩م، خاصاً بوقائع النّدوة الدّولية تحت عنوان: «حلب وطريق الحرير». وكانت الندوة قد عُـقـدت في مـدينـة حـلب، في الـفـتـرة من (٢٦ – ٣٠ أيـلـول "سـبـتـمـبـر" ١٩٩٤). وفي مـقـدمـة الـعـدد، وردت كـلـمـات راعي الندوة، ومحافظ حلب، والمدير العام للآثار والمتاحف، وممثل المشاركين الأجانب.

يحتوي العدد على قسمين، يضم الأول ١٩ بحثاً باللغة العربية، بينما يضم الثاني ٢٥ بحثاً باللغة الإنجليزية، التي عُرّبت ملخصاتها، وألحقت بالقسم العربي من العدد.

يستهل القسم الأول أبحاثه بموضوع للباحث عادل عبدالسلام، وعنوانه: "الموقع الجغرافي لحلب وبيئتها الطبيعية" وفيه استعرض الباحث ميزات الموقع الجغرافي لمدينة حلب، من النواحي الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ما جعلها واحدة من أبرز محطات طريق الحرير شمالي سورية الطبيعية.

ويحمل الموضوع الثاني، للباحث محمد بهجت قبيسي، عنوان: "تفسير بعض أسماء الأماكن الجغرافية"، وقد اجتهد الباحث في عرضه لتفسير عدد من أسماء المدن والقرى والمواقع والأقاليم في آسيا الغربية، على مبدأ أنه كان لهذه الأسماء وغيرها – قبل غزو الإسكندر للشرق – دلالات طبيعية، (مثل دمشق وحلب وابلا وغيرها)، أو دلالات عسكرية، (مثل حرستا وتدمر وغيرها)، أو دلالات دينية، (مثل ببيلا وسرجلا وغيرها). أما بعد غزو الإسكندر، فقد أصبح لأسماء المدن والمواقع دلالات شخصية، (مثل أنطاكية وسلوقية والإسكندرية وغيرها). ويصرّح الباحث أنه وصل بدراسته إلى هذه النتائج، متبعاً المنهج التجريبي. ويذكر أن هذا المنهج يساعد الباحثين في العثور على بعض الأماكن المفقودة، بعد معرفة معانيها (مثل مدينة أكاد). كما يُساعد في لفظ الأسماء القديمة لفظاً صحيحاً، لايعتمد أساساً على ما قرره الماسوريون عند كتابتهم التوراة، بعد إدخال الأحرف الصوتية (القرن العاشر الميلادي)،

لأن هذه الكتابة جاءت متأخرة أكثر من ثلاثة آلاف سنة. ويختم الباحث عرضه باستعراض عدد من الأسماء، ووجهة نظره في تفسير معانيها وأصولها، مع إيراد وجهات نظر المعارضين لهذه التفسيرات، وردوده عليهم لغوياً ونحوياً.

أما الموضوع الثالث للباحث عبدالهادي التازي، فقد حمل عنوان: "حلب في مذكرات ابن بطوطة"، مهّد الباحث له بحديث عن الرحّالة العربي ابن بطوطة الطنجي، الذي احتوت مذكراته معلومات مهمة، عن صناعة الحرير في الصين، وتجارته واستخداماته.. وكذلك، تعريفاً دقيقاً بالرحّالة العربي، وحياته ورحلته، من خلال الأمهات الأدبية.. وينتهي بإيراد نص يتحدث فيه ابن بطوطة عن مدينة حلب، خلال زيارته إليها، ثم نصوص وشروح وأشعار أخرى، وردت عند عدد من معاصريه ولاحقيه، تدلل على أهمية المدينة ومكانتها في عصورها التاريخية المختلفة.

وامتاز ابن بطوطة بإيراد معلومات، تضيف كثيراً إلى معلوماتنا عن حلب من خلال ما كتبه المعاصرون والتابعون، خاصة أنه زار المدينة مرتين، مرة في ذهابه إلى الصين وأخرى في طريق عودته إلى بلاده المغرب.

ويأتي الموضوع الرابع للباحث سلطان محيسن، تحت عنوان: "حلب في العصور الحجرية"، متضمناً عدداً من الرسوم التوضيحية والصور والخرائط. ويتناول الباحث فيه أبرز نتائج المسوحات، والتنقيبات الأثرية، التي جرت منذ سبعينات القرن العشرين حتى اليوم، في منطقة حلب. وقد دلت نتائجها على استيطان بشري باكر، منذ عصور ما قبل التاريخ، تمثل في العثور على أدوات حجرية كثيرة، لمختلف مراحل عصور ما قبل التاريخ، في عدد من المواقع المنتشرة في منطقة حلب، أولها: (حوض نهر قويق) الذي ضمت مكتشفاته أدوات استيطان من العصور الحجرية: القديم الأدنى، والقديم، والأوسط، إضافة إلى العصر الحجري الحديث (ما قبل الفخار A) وبشكل خاص موقع (القرامل). وكذلك أدوات استيطان من نهاية العصر الحجري الحديث (ما قبل الفخار B)؛ وأخيراً، أدوات تعود للعصر الحجري الحديث الفخاري، والعصر الحجري النحاسي. وثانيها: (حوض وادي الساجور)، الذي عثر فيه على آثار استيطان من العصر (الآشولي الأعلى)، وآثار أخرى من العصر الحجري القديم الأوسط (اللفوازي-الموستيري)، وآثار ثالثة من العصر الحجري الحديث (ما قبل الفخار B)، وآثار رابعة تعود للعصر الحجري النحاسي، خاصة في موقع (ملا أسعد وقره ديره).

ويستعرض الباحث، في الختام أبرز المكتشفات الأثرية في سنة ١٩٨٩/١٩٩٠م، التي عُثر عليها في منطقة (عفرين)، خاصة في كهف (الديدريه ٢)، الذي ضم مجموعة بقايا هياكل بشرية، من نوع النياندرتال المعروفة في كل من فلسطين (١٩٨٨م)، والعراق (١٩٨٣م). ولعل أبرز هذه الهياكل، الذي يعد أهم كشف انثروبولوجي على مستوى العالم، كان هيكلاً عظمياً لطفل نياندرتالي، عُثر عليه في (الطبقة ٨) من التسوية الجيولوجية الثالثة، على عمق نحو ١،٥م من مستوى سطح الكهف. ويدلل الباحث على أهمية هذا الهيكل بقوله، إنه سوف يساعد في الإجابة على أسئلة كثيرة تتعلق بظهور النياندرتال وعلاقته بالأنواع البشرية، التي سبقته أو لحقت به.

وتحت عنوان: «مراكز الاستيطان الأولى في حوض الساجور» كتبت الباحثة يسرى كجك بحثاً، استعرضت فيه أبرز معثورات الاستيطان البشري الأول في منطقة منبج بشمال سورية، وحوض الساجور. وأوردت في البحث ما يفيد أن هذه المنطقة عرفت استيطاناً بشرياً كثيفاً، منذ العصر الآشولي الأعلى (الباليوليت الأدنى)، فقد لفتت السطوح الغنية بالصوان والمياه الوفيرة انتباه إنسان تلك الأزمنة، فأقدم على استيطان مواقع (عرب حسان) (شيوخ فوقاني) (شيوخ تحتاني) و (دادات). وكانت أبرز مخلفاتها المعاول الحجرية، والفؤوس اللوزية الشكل. أما موقع (وادي الحمر)، الذي مثّل المرحلة الأخيرة من الباليوليت (الأعلى)، فلم يقدم أدوات كثيرة، ولا مدلولات حضارية كافية. وتؤكد الباحثة على أن تل (ملا أسعد) قدَّم لنا أمثلة جيدة عن مخلفات العصر النيوليتي (ما قبل الفخار B)، في حين قدّم موقع (عرب عزو) فخاراً نموذجياً من فخار الألف الخامس. كما قدمت أخيراً مواقع (تل أحمر) و (حمام صغير) و (تل الصبر) نماذج جيدة للعصر العبيدي، خاصة في مجال العثور على نماذج فخار وحيد

اللون.

ويتابع الباحث أنطوان سليمان، مجموعة الأبحاث عن مواقع ومستوطنات ما قبل التاريخ في منطقة حلب، ببحث عنوانه: «معبد من الألف الثالث ق. م في موقع الأنصاري. يستعرض فيه المعلومات، التي وفرتها التنقيبات في الموقع الذي أُقيمت فيه مستوطنة تعود إلى عصر البرونز الرابع A+B. وعصر البرونز الأوسط.. وهي الفترة التي عاصرت ممالك إبلا وأرمان ويمحاض (حلب القديمة)، إضافة إلى الدولة الأكادية وسلالة أور الثالثة وحمورابي في بابل. وهو الموقع نفسه، الذي تبين التنقيبات أنه أعيد استيطانه، بعد انقطاع خلال العصور الكلاسيكية (هلنستية - رومانية - بيزنطية). ويظهر من خلال نتائج أعمال الحفر، خاصة في أشكال المدافن والتحصينات ونوع الخزف، علاقات ثقافية، بين المواقع والمراكز الحضارية المجاورة، خاصة ممالك أوغاريت على الساحل الكنعاني، وماري على نهر الفرات، وإبلا (جنوب غرب حلب)؛ إضافة إلى علاقات ثقافية مع المصريين والحثيين. ويخلص الباحث إلى القول إنّ مستوطنة الأنصاري، هي أحد المواقع الأثرية المهمة في المنطقة الحضارية لشمال سورية، حيث كانت العلاقات التجارية بين الرافدين ومصر والأناضول، تحتم المرور عبر هذه المنطقة، لدرجة دعت بعض الآثاريين إلى الإفتراض بأن هذه المستوطنة ربما كانت مدينة حلب نفسها، التي عرفت في المصادر القدمية باسم (أرمان) أو (يمحاض).

وتحت عنوان: «دراسة في تاريخ دميه من تل العمارنة في سورية»، عرض الباحث علي أبو عساف صورة ومضمون أبعاد إحدى المعثورات المهمة للبعثة البلجيكية (١٩٩١ - ١٩٩٥م)، في موقع تل العمارنة (جنوبي جرابلس على الضفة اليمنى لنهر الفرات)، وهي دميه مشوهة من الحجر الكلسي، تمثل -على الغالب- أحد حكام المنطقة. ويذكر الباحث أبعاد الدمية وأوصافها، وبعد ذلك يعقد مقارنة بينها وبين منحوتات معروفة، لوضعها -على مايذكر- في إطارها الفني والتاريخي الحقيقيين، تمهيداً لتأريخها. وينتهي بعد ذلك إلى أن هذه الدمية من تل العمارنة، لاتشترك بأية ملامح أو خصائص مع تماثيل العباد المعروفة في الرافدين (منطقة الديالي)، وسورية (ماري وتل خويرة)، بل هي أقرب إلى التماثيل الكنعانية الآمورية الأولى، المنتشرة في إقليم سورية القديمة.

ويأتي ثامناً في ترتيب موضوعات المجلد، بحث حميدو حمادة بعنوان: «نقش كتابي من قلعة حلب» وفيه عرض الباحث صورة النقش، بمقدمة عن تاريخ العثور على النقش في سنة ١٩٣٣، وأسباب تأخر دراسته. والنقش مكتوب بالخط المسماري، على حجر بازلتي قياساته: ٢٠×٢٠ سم، وتتراوح سماكته من ١٢- ١٦ سم، والكتابة مشوهة بنسبة كبيرة، ولم تبق فيه إلاّ كتابة اللعنات، التي يصبها كاتب النقش على كل من يتعرض لهذا النقس بالأذى أو التغير، أو تغير المكان، وهي استهلال طبيعي لمعظم نقوش المنطقة.

أما الباحث فاروق اسماعيل، فقد عرض في المجلد بحثاً بعنوان: «المركز التجاري (كاروم)، في الألف الثاني ق. م » مع خارطة توضح المراكز التجارية في شمال سورية وآسيا الصغرى. ويمهد الباحث لبحثه بتعريف كلمة (كاروم) الاكدية، ذلك أن كلمة (كار) السومرية، تعني السّوق التجارية المحلية، التي عرفتها المناطق السكنية في المنطقة في الألف الثاني ق. م، ويذكر الباحث أن دراسة الألواح المسمارية، التي عثر عليها في المنطقة، صوّرت نشاطاً مكثفاً للقوافل التجارية عبر الجزيرة السورية، وسهول جبال طوروس. ويذكر عدداً من هذه الأسواق وبعض محتويات الألواح، التي تخص هذه الأسواق، خاصة في العلاقة بينها وبين حكومات المناطق التابعة لها. وما أدته تلك العلاقة من تسلط الحكومات ومن ثم إلى تدهور حال الـ (كاروم) في تلك الفترة.

وفي بحث بعنوان: «دور السّلالة الحلبية الأولى في تجارة المشرق وشمال سورية، في القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق. م » تحدث الباحث فيصل عبدالله، عن تاريخ حلب أو مملكة (يمحاض)، وعلاقاتها مع القوى الكبرى المعاصرة لها، خاصة ماري في عهد ملوكها (سومو إيبوخ)، و (يريم ليم)، و (حمورابي بن يريم ليم)، و (أبائيل)، و (يريم ليم الثاني)، و (نقمي أيبوخ)، و (إيركبتوم). ويخلص الباحث إلى أن الحاجات الاقتصادية لكبار ملوك العهد، لعبت دوراً رئيساً في تقرير مصير المناطق الخصيبة في شمال سورية، لمدة قرنين من الزمن، وجعل ممالك هذه المنطقة، وبشكل خاص مملكة

يمحاض، قادرة على الصمود طويلاً في وجه النفوذين الحيثي والحوري، قبل سقوطها نهائياً على أيدي الحيثيين.

كما عرض الباحث محمد وحيد خياطه بحثاً بعنوان: «الآثار الآرامية وميزاتها في متحف حلب» مع عدد من الخرائط والصور التوضيحية. واستهله بالتأكيد على صعوبة الفصل الدقيق بين الفنين، الآرامي والحثي الجديد، نتيجة استيلاء الآراميين على مدن حثية، والحفاظ على مقوماتها الحضارية. إضافة إلى تداخل حضارة العنصر الأرمني، في منطقة الشمال السوري في النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد، وهو العنصر الذي ترك بصماته على منحوتات المنطقة، المتأثرة أساساً بالحثية والآشورية. كما يضيف إلى صعوبة التمييز، قلة المكتشفات الأثرية الآرامية قياساً على غيرها. ويتابع الباحث، بعد هذه المقدمة ذكر تاريخ الآراميين، وتحديد المنطقة، التي شغلوها في سورية الكبرى والأناضول، ثم يتحدث عن عمارتهم وأبرز مواقعها في (تل حلف)، و (كركميش)، و (عين دارا)، و (تل طعينات)، وأبرز المعثورات فيها، وأماكن وجود هذه المعثورات في متاحف العالم. ثم تناول فن النحت في تلك المواقع، وشواهد القبور. وأخيراً يعرض الباحث أبرز مواقع الآثار الآرامية المهمة في سورية، وأبرز المعثورات التي تم اكتشافها، وبشكل خاص في المنطقة الشمالية من سورية. ويخرج الباحث بنتيجة مفادها: قلة أعمال التنقيب في مواقع الاستيطان الآرامي، خاصة تلك، التي جاءت فنونها حصيلة مؤثرات شعوب عديدة في المنطقة، مضافاً إليها نكهة آرامية مميزة.

وكتب الباحث جباغ قابلو، موضوعاً بعنوان: «توسع أورارتو نحو شمال سورية في القرنين التاسع والثامن ق. م ». ويستهل الباحث موضوعه بمقدمة، عن أهمية منطقة شمال سورية لكل من الدولة الأشورية ومملكة أوراتو (شمال الأناضول)، حيث شكّلت هذه المنطقة مجالاً حيوياً لآشور، لاستمرار رخائها الاقتصادي.. في حين كانت أوراتو تسعى جاهدة لإضعاف غريمتها آشور، التي كان من الممكن أن تقوى كثيراً في حالة إحكام سيطرتها على الشّمال السوري. ويعرض الباحث الأسباب الاقتصادية لاهتمامات آشور في المنطقة، إضافة إلى المبررات السياسية لأورارتو. ويخلص إلى القول إن تعاظم القوة الآشورية، منذ عهد (تغلات بلاسر) الثالث، شهدت بداية نهاية مملكة أوراتو، التي وضع شاروكين الثاني ٧١٤ ق. م، حداً لحياتها ولنزاعها مع دولة أشور. وأشار الباحث إلى أنه اعتمد في اعداد هذه الدراسة، على (مجموعة النقوش الأورانية)، والكتابات الآشورية الخاصة بهذا النزاع.

وتحت عنوان: «النشاط التجاري في حلب، خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة العاشر والحادي عشر للميلاد»، كتب الباحث محمد زيود موضوعاً استعرض فيه أهمية حلب التجارية في تلك الفترة، والعوامل التي أثّرت -سلباً وإيجاباً- في نمو التجارة الحلبية الداخلية والخارجية، وأهم الأسواق، إضافة إلى أهم الصناعات، وعلى رأسها النسيج والزجاج والورق، وتصنيع المحاصيل الزراعية، كالزيتون ومشتقاته، والفستق والعطور. وينهي الباحث حديثه بعرض سريع للبضائع والمواد، التي كان يستوردها الحلبيون من عدد من البلدان، ومصر والعراق على وجه الخصوص.

وتعرض الباحثة دعد الحكيم موضوعاً بعنوان: «التجارة وغرفة التجارة في حلب، من خلال الأوامر السلطانية» يستعرض تاريخ التجارة في المنطقة العربية، بدءاً من «القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي)، وتطورها بعد سيطرة البرتغاليين على طرق التجارة، عقب اكتشاف رأس الرجاء الصالح، ومحاولة العثمانيين، بعد سيطرتهم على معظم المنطقة العربية، القضاء على احتكار البرتغاليين تجارة الشرق الأقصى، عن طريق إحكام سيطرتهم على الطرق البرية في المنطقة العربية، إضافة إلى عقد اتفاقات تجارية مع دول أوروبية، كفرنسا وبريطانيا، ومنحها امتيازات مهمة، وما أدت إليه هذه الإجراءات من سيطرة هؤلاء التجار على المراكز التجارية الرئيسية في المنطقة العربية عن طريق وسطائهم من التجار النصارى، واليهود بشكل خاص. وتذكر الباحثة أنه بدءاً من حكم السلطان محمود الثاني (١٢٢٣ - ١٢٥٥هـ)، بدأت التنظيمات التجارية في الظهور، وبشكل خاص انشاء غرف التجارة، التي تأسست أولاها في مدينة حلب سنة (١٢٤٤هـ - ١٨٢٨م).. وكانت أبرز أصولها تعيين رئيس لغرفة التجارة يحمل

لقب (شهبندر التجار)، ومساعدين له.. وطرق انتساب التجار إلى الغرفة، وقواعد حل الخلافات التجارية بين التجار المحليين، أو مع التجار الأجانب، حيث يرأس الغرفة في هذه الحالة، الصدر الأعظم نفسه، إلى جانب الشهبندر. وتتابع الباحثة عرض معلومات الأوامر السلطانية، عن الجمارك المفروضة على أرباح التجارة الخارجية. وتذكر أنه في عهد السلطان عبدالمجيد، وتحديداً في سنة (١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م)، صدر نظام (ويركو)، وهو نظام تجاري جديد له قسمان، أولهما يتعلق بضريبة الأملاك، وثانيهما يتعلق بضريبة التمتع، وهي ضرائب فرضتها الدولة على التجار بنسبة ٣٠ في الألف ثم رفعتها إلى ٤٠ في الألف، من مجموع الأرباح السنوية، وتختم الباحثة حديثها بالقول: إن الأعمال التجارية في سورية تحسنت كثيراً بعد انتشار غرف التجارة، والتنظيمات الجديدة.

تحت العنوان نفسه تقريباً «التجارة وغرفة تجارة حلب» كتب الباحث نعمان جبران، موضوعاً خصه بالحديث المقتضب عن التجارة الحلبية، في فترة الزنكيين والأيوبيين والمماليك والصليبيين والمغول. وبيّن كيف تكمنت حلب من تجاوز الآثار السلبية للفترتين، الصليبية والمغولية، وتأثير ذلك على البنية السكانية لمنطقة شمالي بلاد الشام، والتفاعلات الحضارية الإيجابية، التي لوحظت فيما بعد على المجتمع الحلبي.

أما الباحث نقولا زيادة، وتحت عنوان: «الأسواق والتجارة الدمشقية في عصر المماليك»، فقد كتب بحثاً مقتضباً عن تجارة دمشق وأسواقها، اعتماداً على روايات رحالة غربيين من الإيطاليين، والألمان بشكل خاص، وأشهرهم (فون سوخم) و (بروكيبة).

وفي العصرين المملوكي والعثماني، تحدث الباحث شوقي شعث عن «حلب وتجارة الحرير وصناعته». فذكر أن المدينة كانت محطة مهمة للتجارة، بين الهند والبندقية في إيطالية، وحافظت على ذلك فترة طويلة، بسبب المهارة الصناعية والتجارية، التي اكتسبها الحلبيون عبر العصور. إضافة إلى التقاء عدة طرق تجارية عند حلب، أهمها طريق الهند، التي تنطلق من حلب إلى بغداد فالبصرة وطهران فهرمز فالهند. وقد ساعد على نمو صناعات حلب النسيجية، وبشكل خاص صناعة الحرير، أن أهل حلب وريفها اهتموا بتربية دود القز على شجر التوت. ومنذ أواخر الفترة الأيوبية، بدأ انتشار هذه الصناعة. وقد حافظت حلب على تفوقها في تجارة الحرير وصناعته وتصديره إلى مصر الفاطمية، وغيرها من مناطق أوربا، طوال الفترة المملوكية، وكذلك خلال القرنين الأول والثاني من الفترة العثمانية، بسبب قربها من مركز السلطنة العثمانية؛ فضلاً عن كونها محطة مرور من الشرق إلى أوروبا وكانت هذه التجارة تأخذ طريقها من وإلى أوربا، عبر ميناء طرابلس الشام، أو ميناء الإسكندرية في مصر.

وعن «المنشآت الاقتصادية التاريخية»، وتحت هذا العنوان نفسه، عرض الباحث عبدالقادر الريحاوي موضوعاً، استهله بالتعريف بأهمية المنشآت الاقتصادية في تطور تجارة أي أمة وأي عصر، وذكر أن موقع اقليم سورية دفع مدينتين فيه للظهور بمظهر المركز التجاري النشط، وهما دمشق وحلب، اللتان ورثتا نشاط الأنباط والتدمريين والغساسنة والمناذرة في المنطقة العربية، وخلال القرون القليلة الماضية، ظهرت مصطلحات خاصة بالمنشآت التجارية في سورية، كان لكل واحدة منها دورها المتميز. ويعرض الباحث هذه المصطلحات، مثل: السوق، وهو تعبير قديم عن مكان ممارسة التبادل التجاري، وما زال عدد منها موجود في دمشق وحلب. والفندق، وهو مكان إقامة القادمين على المدينة، ولم يبق منه إلا (خان العروس) على طريق دمشق حمص، والخان هو اصطلاح عُرف منذ العصر الأيوبي، ويوازي الفندق في استخدامه، وإن كان قد تخصص في فترات متأخرة بتجار سلعة معينة أو صناعة أو مهنة مثل (خان الملح) (خان الزيت) (خان الصابون) (خان الخياطين) (خان النحاسين) (خان الفرّائين) وغيرها. ومصطلح القيسارية، وهو اصطلاح لاتيني، ويعني البناء الملكي. ولا تعرف كثير من الفروق في استخدامه بينه وبين الفندق والخان، وإن كان قد استخدم منذ العصر الفاطمي واقترن أحياناً بوظيفة مستخدميه أو مهنهم، مثل (قيسارية الصّياغين) و (القواسين، وهم صانعو أقواس الرماه) وغيرها. أما مصطلح (الوكالة)، فقد عرفته مصر المملوكية، وأطلق على المؤسسات ذات الصفة التجارية ولم يشع استعماله في أقطار عربية أخرى. ويختم الباحث بذكر الخطوط العامة للهندسة، والفن المعماري، في

العمائر الاقتصادية القديمة، من خلال البقايا الأثرية أو من خلال وصف الرحالة الأجانب.

وعلى صفحات المجلد قدم الباحث عبدالله حجار، بحثاً بعنوان: «قنصلية (دار بوخة) بحلب» ومهد لها بالحديث عن أهمية القنصليات وعملها وتاريخها، الذي بدأ نحو سنة ١٢٠٧م في حلب، وصولاً إلى قنصلية البندقية، التي مثلها (يوسف بوخه) (١٧٨٨ - ١٨٥٥م)، وقد أقيمت في خان النحاسين، منذ أواسط القرن السادس عشر. ويصف الباحث هذا الخان بأنه كان من أوقاف جامع العادلية القريب، وشغلته قنصلية البندقية منذ ١٥٤٨م، وأصبح ملكاً لآل بوخه بعد ذلك حتى الآن، وتحتفظ هذه العائلة في منزلها بعدد من المقتنيات القديمة، التي خلّفها الأجداد، ومنهم (يوسف بوخه) (فريدريك بوخه ١٨٣٦-١٩١٢)، (ألبير بوخه ١٨٤٢-١٩٢٩)، (غليوم بوخه ١٨٤٥-١٩٣١)، و(أدولف بوخه ١٨٩٥-١٩٨٧)، ومعظمهم شغل مناصب قناصل لإيطالية وهولندة والنمسا والولايات المتحدة وبلجيكا وروسية.

وحمل البحث التالي عنوان: «منشآت محمد باشا دوكاجين في حلب، ودورها في تنشيط التجارة بالمدينة» للباحث محمد الأرناؤوط، ويستهل الباحث بحثه بأن محمد باشا دوكاجين كان أحد ولاة حلب العثمانيين مباشرة، بعد اندثار الحكم المملوكي، حيث شهدت مدينة حلب في ولايته تطوراً عمرانياً قياسياً، في مجالات البنية التحتية للتجارة المحلية والعالمية. أوقف محمد باشا كثيراً من هذه المنشآت باسم والدته (جوهر ملك شاه)، التي كانت أخت السلطان سليم الأول. وضم الوقف قيساريات وخانات وأسواق ومخازن وجوامع. وامتدت مساحة هذه الأوقاف على نحو ثلاثة هكتارات، وهي مساحة تزيد قليلاً عن مساحة مدينة حلب آنذاك. وقد أدى هذا الوقف الضخم، إضافة إلى وقف النقود الخاص به برأسمال قدره (٣٠،٠٠٠) ليرة ذهبية، إلى تعزيز الدور التجاري لمدينة حلب، خاصة بعد تولي خسرو باشا، ومحمد باشا، وبيرم باشا، مقاليد حلب، حيث دعموا بنشاطهم التجاري دور حلب اعتماداً على ميناء إسكندرونة، لدرجة أنها تفوقت على دمشق في تلك الفترة، التي اعتمدت بدورها على موانئ بيروت وطرابلس.

ويتابع الباحث عبدالرحمن حميده مجموعة الأبحاث السابقة، فيقدم لنا موضوعاً بعنوان: «حلب وطريق الحرير»، يقارن، في مستهله، بين طريق الحرير، كمصدر من مصادر ثراء مدينة حلب تجارياً، وبين طريق الذهب، الذي يمتد عبر أفريقية، إلى مناطق البحر المتوسط. ويذكر أنه كان لطريق الحرير ثلاثة دروب: الشمالي منها، حسب المؤرخ هيرودوت، من مصب نهر الدون في بحر آزوف الى الشرق منه، ثم يتجه بموازاة نهر تينشان إلى تورفان شمال بحيرة (لوب نور) على مصب نهر تاريم في تركستان الشرقية أوسكيانع. أما الدرب الجنوبي، ويعود استخدامه إلى الفترة الاكادية من القرن السابع ق. م، فيصل منطقة ما بين النهرين ومدينة همدان، إلى صغديانا في تركستان ومنها إلى نهر جيحون (سرداريا). أما الدرب الثالث، مكون من طريق بحري وآخر بري، فيتشعب البري إلى طريق رافدي وآخر مصري، ينطلقان من ميناء (باريغازا) على مصب نهر الهندوس، إلى مدينة (تينوى)، عاصمة الصين القديمة شرق حوض تاريم.

وأخيراً يستعرض الباحث تاريخ كل طريق، والأحداث التي أدت إلى تراجع أهميته، أو نشاطه، عبر العصور، خاصة في نقل الحرير من الصين واليها. ويختم حديثه بذكر أن الصينين احتفظوا بصناعة الحرير، سراً غامضاً لمدة تزيد عن أربعة آلاف سنة، لكنها انتقلت إلى الهند، ومنها إلى كورية فاليابان، فإيران، فتركيا، فالمنطقة العربية، مما قلل من حجم نقل هذه الصناعة، خاصة عبر طريق الحرير.

ويأتي آخر بحث في مجموعة الأبحاث العربية بعنوان: «الحرير في أنطاكية اليوم» للباحثة: ريم الأطرش، وفيه تقدم الباحثة لموضوعها بذكر لمحة موجزة عن تاريخ أنطاكية، منذ تأسيسها في العصرين الهلنستي ثم الروماني، وصولاً إلى فترة التاريخ الحديث، والانتداب الفرنسي، حين جرى سلخ المدينة كجزء من إقليم إسكندرونة عن سورية، وإلحاقه بتركية المعاصرة، التي أطلقت عليه لقب ولاية هاتاي. وتذكر الباحثة أن صناعة الحرير انتقلت إلى اقليم الشرق الأوسط، في القرن السّادس الميلادي، ثم انتشر في القرن السابع عشر بشكل لافت

في الساحل السوري، وضفاف العاصي، حتى انطاكية واسكندرونة، اللتين اشتهرتا بتصدير الشرانق إلى فرنسا، وصناعة الأقمشة الحريرية. كما اشتهر الأرمن في منطقة جبال الآمانوس بتطريز هذه الأقمشة. وتتابع الباحثة أن دودة القز تُربى في المنطقة في موسمين: ربيعي وخريفي. وكانت بداية التصنيع تتم في (المخانق)، أو الورشات، التي تجفف الشرانق، وبعد ذلك يغزل العمال زغب الشرانق، ثم تُجمع خيوط الشرنقة على شكل شلل تمهيداً لصباغتها، ثم نسجها بالشكل المطلوب من قبل المستهلكين، الذين قد يرغبون في تطريز القماش قبل خياطته على شكل ملابس تقليدية غالية الثمن.

أما القسم الثاني من العدد فيضم ملخصات بالعربية للأبحاث الأجنبية. وقد استهله بحث للباحث بول سانلافيل بعنوان: «التغيرات المناخية وتطور المجتمعات البشرية في بلاد الشام ما بين ١٨٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق. م»، وقسّم الباحث موضوعه إلى ثلاثة أقسام رئيسة، بدأها بعرض معطيات تغييرات المناخ في المنطقة، التي جرت قبل انتهاء الدورة الجليدية الأولى، وأكدت حدوث ثلاث تغيرات مناخية، ترافقت مع ارتفاع مستوى مياه البحار. وهي تغيرات أدت إلى تأثيرات على الصعيد النباتي، في أقاليم حوض البحر المتوسط. وفي القسم الثاني، استعرض الباحث الأطوار المناخية الكبرى، وقسّمها إلى أربع مراحل: الأولى مرحلة أقصى درجات البرودة، مابين ٣٥٠٠٠-٢٥٠٠٠ ق. م، وفيها تدنى الغطاء النباتي في بلاد الشام. والثانية مرحلة الترفق الحراري نهاية العصر الجليدي ١٥٠٠٠-١١٠٠٠ ق. م، وهي مرحلة شهدت مناخاً حاراً رطباً ساعد على نمو الأشجار خاصة البلوط وأشباهها. والثالثة مرحلة البارد الجاف، مابين ١١٠٠٠-١٠٠٠٠ق. م، وتوازي عصر درياس الحديث، وحدث فيها برودة وجفاف شديدين، إذ تحولت البحيرات المغلقة إلى سبخات، وهبطت نسبة الأشجار بشكل حاد، إلى درجة الاختفاء، وانتشرت نباتات مختلفة تلائم المناخ. والمرحلة الرابعة، أطلق عليها اسم (الهولوسين المثالي)، وفيها ارتفعت حرارة إقليم آسية الغربية، أو بلاد الشام، وازدادت أعداد أشجار الزيتون واللوزيات والصنوبريات. وفي القسم الثالث بعنوان: «التغيرات المناخية وتطور المجتمعات البشرية»، يعرض البحث للعصور الحجرية بأشكالها، حيث لم يعد للبيئة والمناخ دور هام في حيوات البشر، لأن الاضطرابات المناخية أصبحت أقل حدة من الفترات الانتقالية السّابقة، كما أصبح البشر أفضل استعداداً للتصدي لها بكثرة عددهم، وتحسن إمكاناتهم.

وتحت عنوان: «مروج الصحراء في سورية الشمالية»، قدم الباحثان جاك بيزانسون، وبرنارجيبو، موضوعاً عن منطقة المرج الجّاف، الواقع جنوب شرق حلب، التي تعرضت إلى اختلافات مناخية، سمحت فقط بقيام زراعات متوسطية تعاملت معها مجتمعات تواءمت مع هذا النوع من البيئة. ولكن هذه الحالة لم تستمر طويلاً، فقد عرفت المنطقة في الفترة البرونزية والرومانية البيزنطية استيطاناً أوسع، بوجود المياه والآبار، ويختم الباحث حديثه قائلاً: إن نظريته هذه يجب أن تؤخذ بتحفظ، لأن هذه المنطقة تنتمي إلى سويات توسع سكاني، أسهم في توسّع محتمل للامتداد البشري.

وكتب الباحث جان كوفان بحثاً بعنوان: «الفرات السوري الأوسط، وأولى المجتمعات الزراعية الرعوية»، ذكر فيه معلومات عن دور سورية الشمالية، في نشوء وانتشار أولى المجتمعات الرعوية الزراعية، والتي تميزت بظاهرتين، الأولى: هي اشتراك الفرات الأوسط، مع مناطق سورية أخرى، مثل منطقة دمشق ووادي الأردن، بمعرفتها الزراعة نحو سنة ٩٨٠٠ ق. م (النيوليتي قبل الفخار A)، والثانية: هي أن الفرات الأوسط شهد في الألفين التاسع والثامن ق. م، ولادة مدينة (النيوليتي قبل الفخار B)، التي انتشرت في كافة مناطق الشرق الأدنى، واكتشفت فيها تربية المواشي، وكان لها أثر كبير في انتشار ثقافة العصر الحجري الحديث. ويشرح الباحث كيف أن حملات التنقيب في سورية، ضاعفت معطياتنا عن هذا العصر، بسبب التنقيب المكثف لمنطقة الغمر على ضفاف الفرات.

أما الباحث دانييل ستودور، فقدم موضوعاً بعنوان: «استئناف التنقيبات عن مرحلة ما قبل التاريخ في تل الشيخ حسن - حملة استكشافية»، وفيه يتحدث عن متابعة العمل في حفرية بدأها الألماني (بوزه) سنة ١٩٧٦، وتجلت حصيلتها

في مقولة إن القيمة الاستثنائية لهذا الموقع، هي في انتقاله من العصر النيوليتي ما قبل الفخار A، إلى ما قبل الفخار B بشكل مباشر، وان التحولات التقنية والثقافية، التي حدثت خلال ٤٠٠٠ سنة، أدت بهذا الموقع إلى مجتمعات نيوليتية، تمارس الزراعة وتربية الحيوان، وعرفت أساليب متطورة في مجالي صناعة الحجر وصناعة الفخار.

وتحت عنوان: «جعدة المغارة عناصر جديدة متعلقة بانتشار النيوليت ما قبل الفخار في الشمال»، قدم الباحث ايريك كوكينيو بحثاً ضمن إطار مشروع الحملة العالمية، لإنقاذ آثار منطقة الفرات الأوسط. وكشف في موقع جعدة المغاره عن طبقات آثرية تتعلق بالنيوليت ما قبل الفخار B، الذي يعود إلى ما قبل ٩٠٠٠ سنة. ويعد ما قدمه هذا الموقع مهماً لفهم شكل تطور تدجين الحيوان، وزراعة الحبوب، وعلاقة ذلك بموقعي المريبط والجرن الأحمر، وكذلك الأناضول وعناصرها ذات الأصل القوقازي. ويخلص الباحث إلى القول: إن تطور منطقة الأناضول في العصر النيوليتي، قد يكون أبكر من ذلك، ولكن فضل التجديد يعود إلى منطقة الفرات الأوسط، في سورية.

أما الباحث ميغيل موليست فقد كتب عن: «العصر الحجري في الألف التاسع والثامن ق . م في شمال سورية» والبحث فيما يبدو يلخص نتائج دراسة التنقيبات في تل حالوله، بوادي الفرات في سورية، التي قامت بها البعثة الأثرية الأسبانية، التي بدأت التنقيب سنة ١٩٩١ وماتزال. ويمهد الباحث لبحثه، بتقديم موجز عن جوانب المسألة المتعلقة بالفترة الواقعة بين الألف التاسع والألف الثامن ق . م، ثم يتحدث عن وثائق تل حالوله ومرحلة استيطان العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B الوسيط، ثم عن العمارة، وتميز المساحات والنشاطات التقنية، في مجال البناء والدفاع واقتصاد الحياة، بناء على دراسة المستحاثات النباتية والحيوانية، وعادات الدفن، وأخيراً الاستيطان في النصف الأول من الألف الثامن، والنشاطات التقنية لهذا الاستيطان واقتصاد الحياة، في تلك الفترة. ويختم الباحث بحثه بمناقشة حول أهمية النتائج، وضرورة الاستمرار، لمزيد من المعطيات الأثرية.

وضمن فعاليات مشاركة الجامعات اليابانية، في تنقيب بعض مواقع محافظة أدلب شمال غرب سورية، قدم الباحثان تاكويا ايواساكي، وأكيرا تسونيكي موضوعاً بعنوان: «البحوث الأثرية في حوض الروج (أدلب)» وهو عرض دراسة لنتائج التنقيبات الأثرية، التي أجرتها بعثة جامعة (تسو كوبا) في محافظة أدلب في الفترة ما بين ١٩٩٠-١٩٩٢م، وهدفت إلى الحصول على معطيات مادية، لدراسة الانتقال التاريخي من مجتمع القرية الزراعية إلى المدنية. ويبدو أن معطيات المواقع أضافت جديداً، في نتائج حفريات متحف الشرق القديم في طوكيو، حيث ركّزت الحفريات على مواقع العصر الحجري، وبدايات عصر البرونز. وقامت بثلاث عمليات، هي: سبر أعماق المواقع، ومسح عام لها، ودراسة البنية الطبيعية، لكل من تل عربي الأول والثاني وتل عبدالعزيز، وأخيراً تل الكرخ، من أجل تطوير فرضية البحث آنفة الذكر.

ويقدم الباحثان رؤوف منشايف، ونيقولاي ميربرت بحثاً، يعرض نتائج أعمال التنقيب في عدد من المواقع في منطقة الحسكة، خاصة تل خزنة١ وتل خزنة٢. ويخلص الباحثان إلى أن هناك حضارة مشتركة تنتمي إلى أواخر عصر تل حسونة القديم وحضارة حلف، وعصر الوركاء المتأخر، وعصر السلالات المبكرة، وتمتد من موقع الحضر في الجنوب الشرقي، وحتى تل خزنة ٢.

وتشكل هذه المنطقة حلقة وصل، بين المواقع المبكرة، مثل (مريبط) و (ابو هريرة) و (الرمّاد) وغيرها. وتضم أدلة على تدجين الحيوان، وبدء الزراعة. ويزعم الباحث أن نشوء مثل هذه المجتمعات الزراعية، يبرهن على تكوين نظم للاتصالات التجارية والحضارية منذ القديم، لعبت دورها فيما بعد في ظاهرة طريق الحرير.

وتحت عنوان: «طرق الاتصال في بلاد الرافدين العليا، في الألف الثالث ق. م»، عرضت المجلة ملخصاً لموضوع كتبه الباحث مارك لوبو، نشر أصله في مجلة أخرى. كما قدمت الباحثة ستيفانيا ماتسوني بحثاً آخر بعنوان: «تل أفيس والمنطقة المجاورة له في العصر الحجري النحاسي المتأخر»، تؤكد فيه على تبادل ثقافات حلف والعبيد وأوروك، من الهضبة الايرانية إلى شواطئ المتوسط الشرقية عبر الشّمال

السوري، وذلك اعتماداً على تماثل المعثورات من أدوات المعادن والحجارة والأواني الفخارية، الأمر الذي أسهم في تطور المجتمعات المحلية بالتدريج، إلى مستوى مجتمعات مركزية متقدمة.

ويلي هذا البحث موضوع قدمه الباحثان رؤوف منشاييف، ونيقولاي ميربرت بعنوان: «المجمع الديني في مستوطنة تل خزنة I، شمال شرق سورية»، استعرضا فيه نتائج تنقيبات بعثة أكاديمية العلوم الروسية في منطقة شرقي مدينة الحسكة، وركزوا فيه على مجمع معبد يعود في معظم معثوراته لفترة حضارة أوروك والعبيد.

كما عرض الباحث توماس هولاند بحثاً بعنوان: «دليل على التجارة في تل السويحات، خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق. م»، ذكر فيه أن تل السويحات، على الجانب الشرقي من بحيرة الأسد، ومن واقع تنقيبات مواسم (١٩٧٠-١٩٨٩-١٩٩١-١٩٩٢)، كان أحد مواقع المحطات التجارية، بين الشرق والغرب، خلال فترة السلالات الأولى الباكرة في الرافدين، وبشكل أكثر تحديداً (٢٦٠٠-٢٣٠٠ ق. م)، وأنّ البلدة المنشأة على هذا الموقع، كانت ذات تخطيط عمراني، ونظام شوارع متميز، وأنها وصلت أوج ازدهارها خلال الفترة المذكورة، مع ملاحظة أن تنقيبات أوسع، ربما تعطي معلومات أكثر دقة، مما توصلت إليه البعثات المشار إليها سابقاً.

وتحت عنوان: «حلب في عهد إبلا» قدم الباحث الفونسو أركي، موضوعاً تحدث فيه عن مدينة حلب، من خلال أرشيف ماري وأرشيف أبلا، وخص بالذكر آلهة حلب، التي اختصت بالاشراف على شؤون الطقس، إضافة إلى الالهة (خبت)، والالهة (عشتار)، التي انتشرت عبادتها في أبلا أيضاً.

وقدم الباحث رودلف دورنمان موضوعاً بعنوان: «مقارنات بين مكتشفات عصري البرونز والحديد، في مواقع وادي العاصي أوغاريت وابلا ومكتشفات تل قرقور»، ركّز فيه الباحث على مقارنة الأوعية المطلية بالأحمر والأسود، وذات الحواف الثنائية والثلاثية في المواقع المذكورة. وخلص إلى القول إن المراحل الأساسية للسكنى البشرية في تل قرقور خاصة، ترجع إلى عصري البرونز والحديد الباكر، وأن الأدلة المعثور عليها واعدة، ويدعو إلى متابعة التحري في مواسم قادمة.

ويقدم الباحث جيسبر آيدم موضوعاً بعنوان: «عبور الفرات من منطقة قلعة نجم، وأفكار حول بعض طرق اجتياز الفرات»، وفيه يذكر الباحث بعض المعلومات المستخلصة من أعمال التنقيب، والمصادر الإسلامية، حول منطقة منبج الحديثة (هيرابوليس)، في منطقة حلب، والطرق، التي كانت تلتقي عندها بعد عبورها الفرات، بدءاً من القرن السابع الهجري، خاصة في منطقتي قلعة نجم وتل جرن كبير.

كما يقدم الباحث ديتريش زورنها جن موضوعاً عن «تل جنديرس ووادي عفرين الغربي»، يستعرض فيه نتائج تنقيب البعثة الألمانية السورية في مواسم ١٩٩٣-١٩٩٦، التي أظهرت مواقع استيطان من الألف الثانية حتى القرن السادس الميلادي، وأشهرها المعابد والقصور في العصر البرونزي الأوسط 1-2.

وقد حظي «إله الطقس السّوري، والعلاقات التجارية» بأحد بحوث المجلة، الذي قدمه الباحثان هورست وايفيلين كلينغل، وفيه حديث عن أهمية الامطار في حياة إقليم شمال سورية، وتقديس سكان المنطقة عبر العصور للألهة، التي ارتبطت بالأمطار والعواصف. وحاول الباحثان خلال هذا الاستعراض، الإشارة إلى بعض الدلائل النقشية والأسطورية التي تدعم الانطباع، بوجود صلة بين عبادة هذه الألهة، والتواصل الإقليمي، القائم بصورة أساسية على التجارة. وأضافا أن بحثهما لايهدف لتقديم استقصاء شامل، لكل الإشارات الممكنة إلى إله الطقس السوري، بل إلى تقديم آراء عن الدور، الذي لعبته الصلات التجارية بتوسيع دائرة تبجيل هذا الإله، في منطقة حوض البحر المتوسط، وبشكل خاص المراكز الحضارية في منطقة آسية الغربية.

وعن «حلب والطرق التجارية المشرقية، في العهود الهلنستية والرومانية»، عرض الباحث جان شارل بالتي، أهمية حلب منذ الفترة الفارسية، اعتماداً على اكسنوفون، ومروراً بالعصر الهلنستي، اعتماداً على شواهد الآثار في كل من أنطاكية وسلوقية ولاوداكية وافامية. وركز على الأهمية التجارية، التي علقها السّلوقيون الأوائل، خاصة سلوقس الأول

على هذه المدينة، بعد إعطائها إسماً جديداً هو (بيرويه)، ثم ما تعرضت له خلال النزاع بين الساسانيين والبيزنطيين، وصولاً إلى الفترة الإسلامية.

وتحت عنوان: «الفسيفساء والمنسوجات في سورية الشمالية»، قدمت الباحثة جانين بالتي بحثاً، حاولت فيه إلقاء الضوء على العلاقات، بين التقاليد الزّخرفية للفسيفساء، والتقاليد الزخرفية للمنسوجات، مع بيان الفترة، التي ظهرت فيها هذه الروابط، وبأي طريقة ظهرت ولأي سبب. وقد عكست هذه الدراسة التجانس المدهش، بين المجموعتين، بدءاً من العصر الروماني، حتى الفترة الأموية، خاصة في مجال استخدام صور الحيوانات والنباتات، وأحياناً البشر. ويخلص البحث إلى القول إن التجديد، الذي حدث خلال القرنين الرابع والخامس في مجموعة الفسيفساء، كان ثمرة التحول في طرائق التفكير، الذي حصل في جزئه الأكبر عبر مجموعة المنسوجات، التي عُثر عليها من تلك الفترة.

وتحت عنوان: «التأثيرات الشّرقية على الزخرفة المعمارية شمالي سورية»، كتبت الباحثة أليس نقاش موضوعاً، أشارت فيه إلى أن التأثير الشرقي الرافدي على فن الزخرفة شمالي سورية، يعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي، وذلك من خلال عدد من الأوابد الجنازية، التي عثر عليها، وتتمثل في اللآلئ و (المربعان المتقاطعان) والزهيرات والنجميات. وقد ارتبطت هذه التأثيرات بتحول طريق التجارة في القرن الثالث الميلادي، لصالح أنطاكية وسلوقية وبيريه وحلب، حيث شكّلت نهاية الطريق القادم من شرقي الإمبراطورية البيزنطية.

أما الباحث جورج تات، فقد قدم موضوعاً بعنوان: «طريق الحرير في سورية في القرن السادس»، استعرض فيه ما توافر في المصادر من معلومات عن أهمية طريق الحرير، ومسافته في سورية، خلال القرن السادس الميلادي. وبعد ان استعرض الأهمية المتزايدة لتجارة الحرير، وتنامي سيطرة الدولة على طرق التجارة، وتراجع أهمية التجار الصينيين والهنود والفرس، لمصلحة تجار سورية، تحدث عن احتكار الدولة البيزنطية لهذه التجارة، ومن ثم قيامها، خاصة في عصر جوستنيان باستيراد دود القز، وزراعة أشجار التوت، وإنتاج الحرير، بدلاً من استيراده.

وفي «المرحلة الإسلامية المبكرة»، كان لمدينتي «حلب وقنسرين» نصيب في حديث الباحث دونالد وايتكومب الذي ركز على عمارة المدينتين في الفترة الكلاسيكية، وما صاحبه من تغيرات في الفترة الإسلامية الباكرة، معتمداً على دراسة سوفاجيه، ودراسة سوبرنهايم. وفسّر أسماء بعض الأحياء في مدينة حلب، وكذلك شكل التخطيط الأولي للمدينة. وأشار بعد ذلك إلى المنشآت الإسلامية المبكرة في حلب، وأصول أنظمة الجند، كنظام عسكري عمراني مأخوذ عن البيزنطيين، الذين استقوه بدورهم عن الساسانيين. ثم أشار إلى «جند قنسرين» كنظام مماثل، وصولاً إلى الفترة الحمدانية وأخيراً ذكر أبرز الشواهد الأثرية الإسلامية في كل من المدينتين.

وعن «تعزيز السياحة وحماية أوابد الكتلة الكلسية» كتب مارك بارانسكي بحثاً بهذا العنوان، ذكر فيه أن الأوابد المعمارية الرومانية غربي حلب، تعد مجمعات أثرية فريدة في منطقة المتوسط، إضافة إلى بعض الكنائس والحقول. وهي كنز سياحي يجب الحفاظ عليه، واستغلاله بالترميم، وتنظيم زيارته. ويذكر بعضاً من نصائحه في هذا الموضوع، مقتدياً ببعض التجارب الأوربية.

أما «طرق القوافل في آسية الوسطى»، فقد حظيت باهتمام الباحث بوشارد برنتجس، الذي تحدث عن عدد من طرق القوافل، إلى جانب طريق الحرير، كانت تصل سورية بمنطقة الفولغا وآسية الشمالية وسهول آسية والهند. وتحدد المعالم الطبيعية شكل هذه الطرق في كل منطقة، ويقام عليها خانات لتأمين حماية القوافل، ولراحة المسافرين. ويذكر الباحث اعتماداً على تقارير الرحّالة والآثار، أنّ فترتي السلاجقة والتيموريين، كانتا الأكثر استخداماً لهذه الطرق. ويقسّم الباحث الطرق إلى خمسة مسارات، أولها: من ميرف إلى أمودايا، وثانيها: من آمول إلى خازا راسب، وثالثها: في خوارزم وتوركمانيا، ورابعها: شمال أمودايا، وخامسها: في سرداريا وشمال النهر.

وأخيراً نجد الباحث جان كلود دافيد في موضوع عنوانه: «إقامة تجار الجملة الأجانب في خانات حلب»، يستهله

ببيان الهدف المعلن، وهو معرفة قدرة الخانات على التحول عبر تطوير وظائفها المرتبطة بوجود الأجانب فيها. ويستعرض الباحث بدايات هذه الخانات، بما يتلاءم مع طبيعة عملها التجاري والفندقي، وصيرورته -فيما بعد- نموذجاً يحتذى للعمارة المحلية الجديدة، بتأثيراتها الثقافية وأنماط الحياة والسلوك والأفكار، التي تركت آثارها على حداثة العصر الراهن. ويضيف الباحث أن المنزل القنصلي للأجانب، كان مكاناً للحياة خارج الوطن منذ منتصف القرن السادس عشر، لكنه في القرن التاسع عشر تحول إلى مقر للسكن العائلي، الذي احتذاه في عمارة بيوتهم كبار تجار حلب وأثرياؤها وأصبح فيما بعد النموذج المحلي للسكن الجديد، في كل أنحاء المدينة التجارية. وينهي الباحث حديثه بعرض أبعاد البيوت الجديدة، بأقسامها المختلفة، التي حاولت الحفاظ على خصوصية الساكن، في إطار الاقتباس العمراني الأوربي.

ويمكن القول، في ختام هذا الاستعراض، أن الجهد المبذول في اعداد معظم هذه الأبحاث كان ممتازاً، يتناسب مع قيمة أسماء العلماء المشاركين في كتابتها. وقد أدىٰ هذا الجهد -إلى حد كبير- الغاية من تخصيص عدد كامل من أعداد مجلة الحوليات الآثرية العربية السورية، لعرض وقائع الندوة الدولية، تحت عنوان: «حلب وطريق الحرير» علماً بأنه لايعرف السّبب، الذي دفع المديرية العامة للآثار والمتاحف إلى تخصيص هذا العدد لوقائع الندوة، بدلاً من عرض هذه الأبحاث في إصدار خاص. وباستثناء الموضوعات الجغرافية، يلاحظ -بشكل عام- في هذه الأبحاث التزام العدد الأقل منها بموضوع الندوة «حلب وطريق الحرير»، وعلى رأسها بحث «حلب وتجارة الحرير وصناعته»، وبحث «حلب وطريق الحرير»، وبحث «طريق الحرير في سورية في القرن السادس»، وبحث «طرق القوافل في آسية الوسطى» وغيرها. في حين قارب بعضها موضوع الندوه، مثل بحث «حلب في مذكرات ابن بطوطه»، وبحث «النشاط التجاري في حلب خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين»، وبحث «المنشآت الاقتصادية التاريخية»، وبحث «منشآت محمد باشا دوكاجين في حلب، وبحث «الحرير في أنطاكية اليوم»، وبحث «إقامة تجار الجملة الأجانب في خانات حلب»، وغيرها أقل أهمية، في حين احتوى العدد المذكور، على ما يزيد عن عشرين بحثاً عن تقارير حفائر أثرية لفترات ما قبل التاريخ، وبداية العصور التاريخية، وهو أمر يبعد العدد عن الغاية، التي رسمت له، وهي تقديم صورة الندوة العتيده بعنوان: «حلب وطريق الحرير».

أ.د. مفيد رائف العابد - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية.